بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

سُمِّيَتْ فِي جَمِيعِ الْمَصَاحِفِ وَكُتُبِ السُّنَّةِ وَالتَّفْسِيرِ سُورَةَ الْحُجُرَاتِ وَلَيْسَ لَهَا اسْمٌ غَيْرُهُ، وَوَجْهُ تَسْمِيَتِهَا أَنَّهَا ذُكِرَ فِيهَا لَفْظُ الْحُجُرَاتِ. وَنَزَلَتْ فِي قِصَّةِ نِدَاءِ بَنِي تَمِيمٍ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَرَاءِ حُجُرَاتِهِ، فَعُرِفَتْ بِهَذِهِ الْإِضَافَةِ.

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ، أَيْ مِمَّا نَزَلَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، وَحَكَى السُّيُوطِيُّ فِي «الْإِتْقَانِ» قَوْلًا شَاذًّا أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ وَلَا يُعْرَفُ قَائِلُ هَذَا الْقَوْلِ.

وَفِي أَسْبَابِ النُّزُولِ لِلْوَاحِدِيِّ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى [الحجرات: 13] الْآيَةَ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ فِي يَوْمِ فَتْحِ مَكَّةَ كَمَا سَيَأْتِي، وَلَمْ يُثْبِتْ أَنَّ تِلْكَ الْآيَةَ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ كَمَا سَيَأْتِي. وَلَمْ يَعُدَّهَا فِي «الْإِتْقَانِ» فِي عِدَادِ السُّورِ الْمُسْتَثْنَى بَعْضُ آيَاتِهَا.

وَهِيَ السُّورَةُ الثَّامِنَةُ بَعْدَ الْمِائَةِ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْمُجَادِلَةِ وَقَبْلَ سُورَةِ التَّحْرِيمِ وَكَانَ نُزُولُ هَذِهِ السُّورَةِ سَنَةَ تِسْعٍ، وَأَوَّلُ آيِهَا فِي شَأْنِ وَفْدِ بَنِي تَمِيمٍ كَمَا سَيَأْتِي عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ [الحجرات: 1] وَقَوْلِهِ: إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ [الحجرات:4] . وَعَدَّ جَمِيعُ الْعَادِّينَ آيِهَا ثَمَانَ عَشْرَةَ آيَةً.

أَغْرَاضُ هَاتِهِ السُّورَةِ

تَتَعَلَّقُ أَغْرَاضُهَا بِحَوَادِثَ جَدَّتْ مُتَقَارِبَةً كَانَتْ سَبَبًا لِنُزُولِ مَا فِيهَا مِنْ أَحْكَامٍ وَآدَابٍ.

وَأَوَّلُهَا تَعْلِيمُ الْمُسْلِمِينَ بَعْضَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَدَبِ مَعَ النبيء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مُعَامَلَتِهِ وَخِطَابِهِ وَنِدَائِهِ، دَعَا إِلَى تَعْلِيمِهِمْ إِيَّاهَا مَا ارْتَكَبَهُ وَفْدُ بَنِي تَمِيمٍ مِنْ جَفَاءِ الْأَعْرَابِ لَمَّا نَادَوا الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بُيُوتِهِ كَمَا سَيَأْتِي عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ [الحجرات: 4] .

Scanned by CamScanner

وَوُجُوبِ صِدْقِ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا يُخْبِرُونَ بِهِ.

وَالتَّثَبُّتِ فِي نَقْلِ الْخَبَرِ مُطْلَقًا وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ خُلُقِ الْمُؤْمِنِينَ،

وَمُجَانَبَةِ أَخْلَاقِ الْكَافِرِينَ وَالْفَاسِقِينَ،

وَتَطَرَّقَ إِلَى مَا يَحْدُثُ مِنَ التَّقَاتُلِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ،

وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَهُمْ لِأَنَّهُمْ إِخْوَةٌ، وَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ آدَابِ حُسْنِ الْمُعَامَلَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَحْوَالِهِمْ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ،

وَتَخَلَّصَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى التَّحْذِيرِ مِنْ بَقَايَا خُلُقِ الْكُفْرِ فِي بَعْضِ جُفَاةِ الْأَعْرَابِ تَقْوِيمًا لِأَوَدِ نُفُوسِهِمْ.

وَهَذِهِ السُّورَةُ هِيَ أَوَّلُ سُوَرِ الْمُفَصَّلِ بِتَشْدِيدِ الصَّادِ وَيُسَمَّى الْمُحْكَمُ عَلَى أَحَدِ أَقْوَالٍ فِي الْمَذْهَبِ، وَهُوَ الَّذِي ارْتَضَاهُ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَفِي مَبْدَأِ الْمُفَصَّلِ عِنْدَنَا أَقْوَالٌ عَشَرَةٌ أَشْهَرُهَا قَوْلَانِ قِيلَ: إِنَّ مَبْدَأَهُ سُورَةُ ق وَقِيلَ سُورَةُ الْحُجُرَاتِ، وَفِي مَبْدَأِ وَسَطِ الْمُفَصَّلِ قَوْلَانِ أَصَحُّهُمَا أَنَّهُ سُورَةُ عَبَسَ، وَفِي قِصَارِهِ قَوْلَانِ أَصَحُّهُمَا أَنَّهَا مِنْ سُورَةِ وَالضُّحَى.

وَاخْتَلَفَ الْحَنَفِيَّةُ فِي مَبْدَأِ الْمُفَصَّلِ عَلَى أَقْوَالٍ اثْنَيْ عَشَرَ، وَالْمُصَحَّحُ أَنَّ أَوَّلَهُ مِنَ الْحُجُرَاتِ، وَأَوَّلَ وَسَطِ الْمُفَصَّلِ سُورَةُ الطَّارِقِ، وَأَوَّلَ الْقِصَارِ سُورَةُ إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ [الزلزلة: 1].

وَعِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ قِيلَ: أَوَّلُ الْمُفَصَّلِ سُورَةُ الْحُجُرَاتِ، وَقِيلَ سُورَةُ ق، وَرَجَّحَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي التَّفْسِيرِ كَمَا سَيَأْتِي. وَعِنْدَ الْحَنَابِلَةِ أَوَّلُ الْمُفَصَّلِ سُورَةُ ق.

وَالْمُفَصَّلُ هُوَ السُّورُ الَّتِي تُسْتَحَبُّ الْقِرَاءَةُ بِبَعْضِهَا فِي بَعْضِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ عَلَى مَا هُوَ مُبَيَّنٌ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ.

Scanned by CamScanner

(٤٩) سورة الحجرات مدنية وآياتها ثماني عشرة

نزلت بعد سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۞ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ (٣) ﴾

هذه آيات أدّب الله تعالى بها عباده المؤمنين، فيما يعاملون به الرسول ﷺ، من التوقير والاحترام، والتبجيل والإعظام. فقال تبارك وتعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾ أي لا تسرعوا في الأشياء بين يديه أي قبله، بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور، حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي، حديث معاذ رضي الله عنه حيث قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن[١٩٢] « بم تحكم ؟» قال: بكتاب الله تعالى، قال ﷺ: « فإن لم تجد » ؟ قال: بسنة رسول الله ﷺ، قال ﷺ « فإن لم تجد » قال رضي الله عنه أجتهد رأيي، فضرب في صدره وقال: «الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله ﷺ إلى ما يرضي رسول الله ﷺ »] وقد رواه أحمد وابو داود والترمذي وابن ماجه فالغرض

Scanned by CamScanner

منه، أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة، ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله ﷺ .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾ أي لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة ، ﴿ واتقوا الله ﴾ فيما أمركم به ﴿ إن الله سميع ﴾ لأقوالكم ، ﴿ عليم ﴾ بنياتكم . وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾ هذا أدب ثان أدّب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبيّ ﷺ فوق صوته .

روى البخاري عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما :١٩٣[أنه قدم ركب بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر رضي الله عنه : أمّر القعقاع بن معبد . وقال عمر رضي الله عنه بل أمّر الأقرع بن حابس ، فقال ابو بكر رضي الله عنه : ما أردت إلاّ خلافي ، فقال عمر رضي الله عنه : ما أردت خلافك ، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت في ذلك: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾ حتى انقضت الآية : ﴿ ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم ﴾ الآية... وروى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه١٩٤ [أن النبي ﷺ أفتقد ثابت بن قيس رضي الله عنه فقال رجل : يا رسول الله أنا أعلم لك علمه. فأتاه فوجده في بيته منكساً رأسه. فقال له: ما شأنك؟ فقال: شر. كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله فهو من أهل النار ، فأتى الرجلُ النبيَّ ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا ، قال موسى – يعني ابن انس بن مالك – فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال « إذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكنّك من أهل الجنّة »] تفرّد به البخاري من هذا الوجه . ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه ممن عداه ، بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم . ولهذا تبارك وتعالى قال : ﴿ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ﴾ كما قال تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾ وقال العلماء : يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام لأنه محترم حياً وميتاً . وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي ﷺ، قد ارتفعت اصواتهما فجاء فقال : أتدريان أين أنتما ؟ ثم قال : من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف ، فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً . وقوله عز وجل : ﴿ أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ أي إنّما نهيناكم عن رفع الصوت عنده ، خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه ﷺ ، فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري كما جاء في الصحيح١٩٥[إن

Scanned by CamScanner

الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، لا يلقي لها بالاً يكتب له بها الجنة . وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض.] ثم ندب الله تعالى إلى خفض الصوت عنده وحث على ذلك ، وأرشد اليه ، ورغب فيه.فقال تعالى : ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾ أي أخلصها لها وجعلها أهلاً ومحلاً ﴿لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ وقد قال الإمام أحمد عن مجاهد قال : كتب إلى عمر : يا أمير المؤمنين ، رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها أفضل ، أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها ؟ فكتب عمر رضي الله عنه : إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها ﴿أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۞ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ (٥)﴾

ثم إنه تبارك وتعالى : ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات،وهي بيوت نسائه كما يصنع أجلاف الأعراب.فقال تعالى : ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾ ثم أرشد تعالى إلى الأدب في ذلك فقال عز وجل : ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم﴾ أي لكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدنيا والآخرة.ثم قال جل ثناؤه داعياً لهم إلى التوبة والإنابة ﴿والله غفور رحيم﴾ وقد ذكر انها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي رضي الله عنه فيما أورده غير واحد .

روى الإمام أحمد عن الأقرع بن حابس رضي الله عنه[١٩٦] [انه نادى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد يا محمد ، وفي رواية : يا رسول الله فلم يجبه،فقال : يا رسول الله إن حمدي لزين وإن ذمي لشين ، فقال : « ذاك لله عز وجل »] .

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۞ (٦) وَٱعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ

Scanned by CamScanner

وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝ (٧) فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ (٨)

يأمر تعالى بالتثبُّت في خبر الفاسق ليحتاط له لئلاّ يُحكمَ بقوله ، فيكون في نفس الأمر كاذباً أو مخطئاً ، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه . وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل المفسدين . ومن ها هنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال ، لاحتمال فسقه في نفس الأمر . وقبلها آخرون لأنا إنما أُمرنا بالتثبُّت عند خبر الفاسق ، وهذا ليس بمحقق الفسق لأنه مجهول الحال . وقد ذكر كثير أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق ، وقد روي ذلك من طرق ، ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بني المصطلق ، وهو الحارث بن أبي ضرار والدجويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنهما .

روى الإمام أحمد عن دينار انه سمع الحارث بن أبي ضرار الخزاعي رضي الله عنه يقول : ١٩٧ [قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به . ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت : يا رسول الله أرجعُ إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته وترسل إلى يا رسول الله رسولاً إبّان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له ، وبلغ الإبّانُ الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث اليه احتبس عليه الرسول ولم يأته وظن الحارث انه قد حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسوله ، فدعا بسادات قومه فقال لهم : إن رسول الله ﷺ كان وقّتَ لي وقتاً يرسل إلي رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة ، وليس من رسول الله ﷺ الخلفُ ، ولا أرى حبس رسوله إلاّ من سخطة ، فانطلقوا بنا نأتي رسول الله ﷺ ، وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى الحارث ، ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة . فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق أي خاف ، فرجع حتى أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ان الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي ، فغضب رسول الله ﷺ ، وبعث البعث إلى الحارث رضي الله عنه . وأقبل الحارث بأصحابه حتى اذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا : هذا الحارث ، فلمّا غشيهم قال لهم : إلى من بعثتم ؟ قالوا : إليك قال : ولمَ ؟ قالوا :

Scanned by CamScanner

إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة ، فزعم إنك منعته الزكاة وأردت قتله . قال رضي الله عنه لا والذي بعث محمداً ﷺ بالحق ما رأيته بتة ولا أتاني .

فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال : منعت الزكاة وأردت قتل رسولي ؟ قال : والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني ، وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول الله ﷺ خشيت أن يكون كانت سخطة من الله تعالى ورسوله . قال فنزلت الحجرات : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق – إلى قوله – حكيم ﴾]ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير . والطبراني وقوله تعالى : ﴿ واعلموا أن فيكم رسول الله ﴾ أي أعلموا أن بين أظهركم رسول الله فعظّموه ووقّروه وتأدّبوا معه وانقادوا لأمره ، فإنه أعلم بمصالحكم ، وأشفق عليكم من أنفسكم ، ورأيه فيكم أتمّ من رأيكم لكم ؛ كما قال تبارك وتعالى : ﴿ النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ ثم بيّن إنّ رأيهم سخيف بالنسبة إلى مراعاة مصالحهم. فقال تعالى : ﴿ لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ﴾ أي لو أطاعكم في جميع ما تختارونه لأدّى ذلك إلى حرجكم . كما قال تعالى: ﴿ ولو اتبع الحقّ أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ... ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزيّنه في قلوبكم ﴾ أي حبّبه إلى نفوسكم وحسّنه في قلوبكم .

روى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : ١٩٨ [كان رسول الله ﷺ يقول : « الإسلام علانية والإيمان في القلب » قال ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات ثم يقول : « التقوى ، ههنا التقوى ههنا »] ﴿ وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان ﴾ أي وبغّض إليكم الكفر والفسوق وهي الذنوب الكبار والعصيان وهي جميع المعاصي ، وهذا تدريج لكمال النعمة. وقوله تعالى : ﴿ أولئك هم الراشدون ﴾ أي الذين لهم هذه الصفة قد آتاهم الله رشدهم وروى الإمام أحمد من بعض حديث له عن أبي رفاعة الزرقي عن أبيه قال من دعاء رسول الله ﷺ يوم أن انكفأ المشركون يوم أحُد قال رسول الله ﷺ – من بعض ما قال – ١٩٩ [... اللهم حبّبْ إلينا الإيمان وزيّنه في قلوبنا ، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين ...] وفي الحديث المرفوع : ٢٠٠ [من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن] ثم قال تعالى : ﴿ فضلاً من الله ونعمة ﴾ أي هذا العطاء منحكموه هو فضل منه عليكم ونعمة من لدنه ﴿ والله عليم حكيم ﴾ أي عليم بمستحق الهداية أو الغواية ، حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره .

Scanned by CamScanner

﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ (١٠) ﴾

يأمر الله تعالى عباده بالاصلاح بين الفئتين المتقاتلتين ﴿ وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ فسمّاهم مؤمنين مع الاقتتال . وبهذا استدلّ البخاري وغيره . على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت . لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم . وهكذا ثبت في صحيح البخاري من حديث الحسن عن أبي بكر رضي الله عنه قال : ٢٠١ [ان رسول الله ﷺ خطب يوماً . ومعه على المنبر الحسن بن علي رضي الله عنهما فجعل ينظر إليه مرةً . وإلى النّاس أخرى ويقول : إن ابني هذا سيد . ولعلّ الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين] فكان كما قال ﷺ . أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة . والواقعات المهولة .

وقوله تعالى : ﴿ فإن بغت أحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ﴾ أي حتى ترجع إلى أمره تعالى ورسوله ﷺ . وتسمع للحق وتطيعه . كما ثبت في الصحيح عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ٢٠٢ [انصرْ أخاك ظالماً أو مظلوماً قلت : يا رسول هذا نصرته مظلوماً . فكيف انصره ظالماً قال ﷺ : « تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه »] .

وروى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : ٢٠٣ [قيل للنبي ﷺ ، لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق اليه النبي ﷺ . وركب حماراً وانطلق المسلمون يمشون ، وهي أرض سبخة . فلما انطلق النبي ﷺ إليه قال : إليك عني فوالله لقد آذاني ريح حمارك . فقال رجل من الأنصار والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك . قال فغضب لعبدالله رجال من قومه . فغضب لكل واحد منهما أصحابه قال فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال . فبلغنا أنه أنزلت فيهم : ﴿ إنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾] ورواه البخاري ومسلم . وقوله عز وجل : ﴿ فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا

Scanned by CamScanner

ان الله يحب المقسطين ﴾ أي اعدلوا بينهما فيما كان أصاب بعضهم لبعض بالعدل ﴿ إن الله يحب المقسطين ﴾ .

روى ابن أبي حاتم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : ٢٠٤ [ان رسول الله ﷺ قال : « ان المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن عز وجل بما أقسطوا في الدنيا »] ورواه النسائي وهذا إسناد جيّد قويّ رجاله على شرط الصحيح . وحدثنا عبدالله بن يزيد بسنده عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : ٢٠٥ [المقسطون عند الله تعالى يوم القيامة على منابر من نور على يمين العرش، الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما وُلّوا] ورواه مسلم والنسائي . وقوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون أخوة ﴾ أي الجميع أخوة في الدين كما قال رسول الله ﷺ ٢٠٦ [المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه »] وفي الصحيح : ٢٠٧ [والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه] وفي الصحيح : ٢٠٨ [مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر] . وقوله تعالى : ﴿ فأصلحوا بين أخويكم ﴾ يعني الفئتين المقتتلتين ﴿ واتقوا الله ﴾ أي في جميع أموركم ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ وهذا تحقيق منه تعالى للرحمة لمن اتقاه .

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۞ (١١) ﴾

ينهى تعالى عن السخرية بالناس واحتقارهم كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : ٢٠٩ [الكِبْر بطر الحق وغمص الناس — ويروى — وغمط الناس.] أي استصغارهم وهذا حرام، فقد يكون المحتقَر أرفع قدراً عند الله تعالى . ولهذا قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أنْ يكن خيراً منهن ﴾ فنهى الرجال والنساء. وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ كقوله تعالى ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ أي لا يقتل بعضكم بعضاً وهذه معناها لا تلمزوا بعضكم بعضاً والهمز بالفعل واللمز بالقول ، وذلك احتقار الناس طغياناً عليهم

Scanned by CamScanner

والمشي بالنميمة من اللمز بالمقال كما قال؛ تعالى: ﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ أي قولاً وفعلاً. وقوله تعالى: ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ أي لا تدعوا بعضكم بالألقاب وهي التي يسوء الشخص سماعها. روى الإمام أحمد عن أبي جبيرة بن الضحاك قال ٢٢١ [فينا نزلت في بني سلمة ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة، وليس فينا رجل إلاّ وله اسمان أو ثلاثة فكان اذا دَعَى أحداً منهم باسم من تلك الأسماء قالوا يا رسول الله إنه يغضب من هذا، فنزلت: ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾] ورواه ابو داود. وقوله جل وعلا: ﴿ بئس الأسم الفسوق بعد الإيمان ﴾ أي بئس الصفة والاسم الفسوق، وهو التنابز بالألقاب، كما كان أهل الجاهلية يتناعتون بعدما دخلتم في الإسلام وعقلتموه ﴿ ومن لم يتب ﴾ من هذا ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ۞ (١٢) ﴾

ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخوّن للأهل والأقارب والناس في غير محله، لأن بعض ذلك يكون إثماً محضاً، فليُتَجنَّب كثير منه احتياطاً. ورَوَيْنا عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال: ولا تظنن بكلمة خرجت من اخيك المؤمن إلاّ خيراً، وانت تجد لها في الخير محملاً.

وروى مالك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ٢١١ [إيّاكم والظن فإن الظن أكذبُ الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله أخواناً] رواه البخاري ومسلم وابو داود عن العتبي عن مالك به ومن حديث عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ٢١٢ [... ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام] رواه مسلم والترمذي وصححه، عن حديث سفيان بن عيينة.

﴿ ولا تجسسوا ﴾ أي على بعضكم بعضاً، والتجسس غالباً يطلق في الشر ومنه الجاسوس ويطلق التحسس غالباً في الخير. كقوله تعالى إخباراً عن يعقوب عليه السلام أنه

Scanned by CamScanner

قال : ﴿ يا بَنِيَّ اذهبوا فتحسَّسوا من يوسف وأخيه ... ﴾ وقد يستعمل كل منهما في الشرّ كما ثبت في الصحيح : لا تجسسوا ... كما تقدم آنفاً . وقوله تعالى : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ فيه نهي عن الغيبة وقد فسرها الشارع كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود عن أبي هريرة قال ٢١٣ [قيل يا رسول الله : ما الغيبة ؟ قال ﷺ : « ذكرك أخاك بما يكرَه . » قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ : قال ﷺ : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتَّه »] ورواه الترمذي وقال : حسن صحيح ورواه ابن جرير .

والغيبة محرمة بالإجماع. ولا يستثنى من ذلك إلاّ من رجَحَت مصلحتُه ، كما في الجرح والتعديل والنصيحة ، وكذا ما جرى مجرى ذلك ثم بقيَّتُها على التحريم الشديد، والزجر الأكيد. ولهذا شبهها تبارك وتعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت كما قال عز وجل: ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحمَ أخيه ميْتاً فكرهتموه ﴾ أي كما تكرهون هذا طبعاً فاكرهوا ذاك شرعاً فإن عقوبته أشدُّ من هذا . وهذا من التنفير عنها والتحذير منها كما قال ﷺ في العائد في هبته : (« كالكلب يقيء ، ثم يرجع في قيئه ») .

روى أبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : ٢١٤ [كلُّ المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمُه ، حسب امرئ من الشر أن يحقِر أخاه المسلم] ورواه الترمذي .

روى أبو داود عن أبي بردة البلوي قال : قال رسول الله ﷺ : ٢١٥ [يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته]

وروى ابو داود عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : ٢١٦ [لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم] ورواه أحمد .

وروى ابن أبي حاتم عن ابي سعيد الخدري قال: ٢١٧ [قلنا يا رسول الله حدثنا ما رأيت ليلة أسرى بك قال « ... ثم انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير ، رجال ونساء موكل بهم رجال يُعمدون إلى عرض جنب أحدهم فيجذون منه الجذة مثل النعل ثم يضعونها في فيِّ أحدهم ، فيقال له :كل كما أكلت وهو يجد من أكله الموت يا محمد لو يجد الموت وهو يكره عليه فقلت : يا جبرائيل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الهمازون اللمازون أصحاب النميمة فيقال : أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه وهو يُكرَهُ على أكل

Scanned by CamScanner

لحمه »] هكذا أورد هذا الحديث ، وقد أوردناه / بل / سقناه بطوله في أول تفسير سورة سبحان ولله الحمد والمنة .

وروى الحافظ أبو يعلى في روايته لقصته رجم ماعز رضي الله عنه إلى أن قال ٢١٨ [... سمع النبي ﷺ رجلين يقول أحدهما لصاحبه : ألم تر أن هذا الذي ستر الله عليه ، فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب ؟ ثم سار النبي ﷺ حتى مر بجيفة حمار فقال : « أين فلان وفلان إنزلا فكلا من جيفة هذا الحمار . قالا : غفر الله لك يا رسول الله وهل يؤكل هذا ؟ قال ﷺ : « فما نلتما من أخيكما آنفاً أشد أكلاً منه ، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها » .] إسناد صحيح .

وروى الإمام أحمد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : ٢١٩ [كنا مع النبي ﷺ فارتفعت ريح جيفة منتنة . فقال رسول الله ﷺ : « أتدرون ما هذه الريح ؟ هذه ريح الذين يغتابون الناس »] .

وقوله تعالى : ﴿ واتقوا الله ﴾ أي فيما أمركم به ونهاكم عنه فراقبوه في ذلك واخشوا منه ﴿ إن الله تواب رحيم ﴾ أي تواب على من تاب إليه ، رحيم لمن رجع إليه واعتمد عليه . قال الجمهور من العلماء : طريق المغتاب للناس في توبته أن يقلع عن ذلك ويعزم على أن لا يعود ، وهل يشترط الندم على ما فات ، وأن يتحلل من الذي اغتابه ، فقال جماعة منهم بذلك ، وقال آخرون : لا يشترط أن يتحلله فإنه إذا أعلمه بذلك ربما تأذى أشد مما إذا لم يعلم بما كان منه ، فطريقته إذاً ، أن يثني عليه بما فيه في المجالس التي كان يذمه فيها ، وأن يرد عنه الغيبة بحسبه وطاقته ، تكون تلك بتلك . كما روى الإمام أحمد عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ٢٢٠ [من حمى مؤمناً من منافق يغتابه ، بعث الله تعالى اليه ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ، ومن رمى مؤمناً بشيء يريد سبّه حبسه الله تعالى على جسر جهنم حتى يخرج مما قال] وكذا رواه أبو داود .

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ● (١٣) ﴾

Scanned by CamScanner

يخبر الله تعالى الناس انه خلقهم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ، وهما آدم وحواء وجعلهم شعوباً وقبائل ، فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء عليهما السلام سواء ؛ وانما يتفاضلون بالأمور الدينية وهي طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله ﷺ . ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضاً ، منبهاً على تساويهم في البشرية : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ أي ليحصل التعارف بينهم كل يرجع إلى قبيلته وروى ابو عيسى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ٢٢١ [تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر] ثم قال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقوله تعالى : ﴿ إن إكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ أي إنما تتفاضلون عند الله تعالى بالتقوى لا بالأحساب وقد وردت الأحاديث بذلك عن رسول الله ﷺ : ٢٢٢ [... فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا] رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وروى مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٢٢٣ [إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم] ورواه ابن ماجه .

روى ابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : ٢٢٤ [طاف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته القصواء يستلم الأركان بمحجن في يده ، فما وجد لها مناخاً في المسجد حتى نزل ﷺ على أيدي الرجال ، فخرج بها إلى بطن المسيل فأنيخت ثم إن رسول الله ﷺ خطبهم على راحلته فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال : « يا أيها الناس إن الله تعالى قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعظمها بآبائها ، فالناس رجلان : رجل بَرٌّ تقي كريم على الله تعالى ، ورجل فاجر شقيٌّ هين على الله تعالى إن الله عز وجل يقول : ﴿ يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ ثم قال ﷺ أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم »] هكذا رواه ابن حميد. وروى الإمام أحمد عن درّة بنت أبي لهب رضي الله عنها قالت ٢٢٥ [قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال : يا رسول الله : أي الناس خير ؟ قال ﷺ : « خير الناس أقرأهم وأتقاهم لله عز وجل ، وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم »] وقوله تعالى : ﴿ إنَّ الله عليم خبير ﴾ أي عليم بكم ، خبير بأموركم وله المشيئة بكم ، في الهداية والضلالة ، والرحمة والعذاب ، والتفضيل وهو

Scanned by CamScanner

الحكيم العليم الخبير في ذلك كله. وقد ذهب بعض العلماء بدلالة ما تقدم من الآية الكريمة والأحاديث إلى أن الكفاءة في النكاح لا تشترط سوى الدين لقوله تعالى ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ وذهب آخرون إلى أدلة أخرى موجودة في كتب الفقه ، وفي كتابنا كتاب الأحكام طرفاً من ذلك .

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوٓا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ (١٤) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۞ (١٥) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۞ (١٦) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ (١٧) إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ (١٨) ﴾

ينكر الله تعالى على الأعراب الذين ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان أول ما دخلوا في الإسلام في الوقت الذي لم يتمكن فيهم بل في قلوبهم الإيمان بعد. ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ وقد استفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام، حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص ثم للأخص منه . فلما أدعى الأعراب لأنفسهم مقاماً أعلى مما وصلوا إليه، فأدبوا في ذلك . وهؤلاء ليسوا من المنافقين خلافاً لمن يقول أنهم منهم ، فلو كانوا منافقين لعنفوا وفضحوا كما ذكر المنافقون في سورة براءة [1] وإنما قيل لهؤلاء

(١) الآية رقم / ٩٧ /

Scanned by CamScanner

تأديباً ﴿ قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ أي لم تصلوا إلى حقيقة الإيمان بعد. ثم قال تعالى : ﴿ وإن تطيعوا الله ورسوله لا يَلِتكم من أعمالكم شيئاً ﴾ أي لا يُنقصكم من أجوركم شيئاً. كقوله عز وجل : ﴿ وما ألتناهم من عملهم من شيء ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إنّ الله غفور رحيم ﴾ أي لمن تاب إليه وأناب. وقوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون ﴾ أي الكاملون في إيمانهم هم : ﴿ الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ أي لم يشكّوا ويتزلزلوا، بل ثبتوا على حال واحدة وهي التصديق المحض. ﴿ وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴾ أي وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم، في طاعة الله ورضوانه. ﴿ أولئك هم الصادقون ﴾ إذا قالوا إنهم مؤمنون ، لا كبعض الأعراب الذين ليس لهم من الإيمان إلا الكلمة الظاهرة .

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد -- الخدري -- رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ قال : ٢٢٦ [« المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء : الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، والذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ، والذي إذا أشرف على طمع تركه لله عز وجل . »] وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ قل أتعلّمون الله بدينكم ﴾ أي أتخبرونه بما في ضمائركم ﴿ والله يعلم ما في السموات وما في الأرض ﴾ أي لا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ يمنّون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم ﴾ يعني الأعراب الذين يمنّون بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم على الرسول ﷺ يقول الله تعالى رداً عليهم : ﴿ قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم ﴾ فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم، ولله المنة عليكم فيه. ﴿ بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ أي في دعواكم ذلك كما قال النبي ﷺ للأنصار يوم حنين : ٢٢٧ [يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرّقين فألفكم الله بي ؟ وكنتم عالةً فأغناكم الله بي كلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمنّ .]

وروى الحافظ أبو بكر البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ٢٢٨ [جاءت بنو أسد إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله أسلمنا وقاتلتك العرب ولم نقاتلك . فقال رسول الله ﷺ : إن فقههم قليل ، وإن الشيطان ينطلق على ألسنتهم . ونزلت هذه الآية ﴿ يمنّون عليك أن أسلموا ...] ثم قال : لا نعلمه يروي إلاّ من هذه الوجه . ثم كرر تعالى الأخبار بعلمه بجميع الكائنات وبصره بأعمال المخلوقات. فقال: ﴿ ان الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون ﴾ آخر تفسير سورة الحجرات ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة . واسأله تعالى ان يسدد الخطى ويهدي إلى الصواب ويوفّق مبعانا لانهاء هذا المختصر على خير ما يحب الله ويرضى .

Scanned by CamScanner